

مدرسة بلاد الرافدين أقدم منظومة تعليمية في العالم القديم
The Mesopotamian School is the oldest educational system in the old world

د. يامون عمر¹
o.yamoune@ens-setif.dz

تاريخ النشر: 2025/12/15
Received: 20/09/2025

تاريخ الاستلام: 2025/09/20
published: 15/12/2025

ملخص:

تعتبر المنظومة المدرسية التي استحدثها إنسان الحضارة الرافدية وبالتحديد السومرية من أرقى النظم التي صاغها العقل البشري في منطقة الشرق الأدنى القديم، فهي تتم عن نضج فكري مبكر وعن حس علمي هادف ليس وليد العشوائية والصدفة، بل هو دونما شك نتاج الوعي الحضاري الذي بلغه الفرد الرافدي خلال مراحل مبكرة من فجر التاريخ، فقد لعبت الكتابة ومعها التدوين دورا كبيرا في تسريع عملية نضج العقل الرافدي ويظهر ذلك جليا من خلال ابتكار أولى طرق التواصل اللغوي والمادي، ومع الأخذ بفكرة أن السكان القدامى لبلاد الرافدين كانوا من أوائل المبادرين في مضمار هذا الإنتاج الحضاري فكان من وجه المنطق أن تكون المنظومة التعليمية في شكلها الأولي تندرج ضمن نطاق صلاحيتهم.

كلمات مفتاحية: المدرسة، الكتابة، التنظيم، الحفريات، المعارف.

Abstract:

The school system created by the people of the Mesopotamian civilization, specifically the Sumerian, is considered one of the most advanced systems formulated by the human mind in the ancient Near East. It reflects an early intellectual maturity and a purposeful scientific sense that was not born of randomness or chance, but is without a doubt the product of the cultural awareness attained by the Mesopotamian individual during the early stages of the dawn of history. In this context, writing, along with documentation, played a major role in accelerating the maturation of the Mesopotamian mind. This is clearly demonstrated by the invention of the first methods of linguistic and material communication. Given the idea that the ancient inhabitants of Mesopotamia were among the first to initiate this cultural production, it was logical that the educational system in its initial form should fall within their jurisdiction.

Keywords: School; writing ;organization ;excavations ;knowledge.

(1) المدرسة العليا للأساتذة - مسعود زغار - العلية / سطيف (الجزائر).

1. مقدمة:

تعتبر بلاد الرافدين القديمة من المراكز ذات السبق الحضاري وهذا الواقع التاريخي مبني على أساس تأريخ أقدم حواضرها، ومن هذا المنطلق يمكننا الحكم على قدمها وقدم معاييرها الحضارية، وتأتي في طليعتها "المنظومة التعليمية والتربوية" التي يعود الفضل للرافدين الأقدمين في ترسيخ الأسس الأولى لها، حيث أنشأ هؤلاء نظاما تعليميا فريدا من نوعه لم تسبقهم إليه أي من الشعوب القديمة.

وقد أسس السومريون ضمن هذا المضمار أقدم وأنجع نظام تعليمي متعارف عليه بين جمهور الباحثين وهو ما يطلق عليه تاريخيا اسم "التعليم المتخصص"، حيث يتلقى الطلبة تعليما متوازنا ومكثفا في العديد من المجالات مثل: القراءة والكتابة، المسائل الحسابية، الآداب والعلوم والتاريخ، فكانت هذه المدارس منظمة تنظيما محكما يشابه ما هو قائم في يومنا هذا، وقد ضمت هذه الصفوف مختلف الطبقات الاجتماعية على غرار أبناء الطبقة الأرستقراطية والحرفيين والفلاحين، ولعل الملفت للانتباه بروز العديد من النساء الكاتبات رغم محاولة العديد من الآراء تفنيد ذلك، والمثال التاريخي الذي يعول عليه كثيرا في هذا الشأن هي الكاتبة "أنخيدوانا" ابنة الملك "سرجون الأكدي".

ومع تقدم العصور التاريخية بظهور الحضارتين البابلية والآشورية فقد شهد النظام التعليمي ثورة حقيقية، ويظهر ذلك جليا من خلال تحول المراكز التعليمية إلى نقاط جذب لطلاب العلم لمزاولة تعلم القانون، الفلسفة، العلوم الطبيعية والفنون المختلفة، ولعل النموذج الواقعي الذي يسلط الضوء على المخزون العلمي الهائل الذي تزخر به هذه الحضارة هي "مكتبة آشور بانيبال" والتي تضم الآلاف من الألواح الأصلية والمنسوخة بمختلف أنواع المعرفة.

وقياسا على أهمية هذا الموضوع باعتباره يسلط الضوء على جانب مهم من التاريخ الرافدي واستنادا على أهمية هذه الدراسة البحثية في إبراز الأبعاد الحضارية للمنظومة التعليمية فقد قمنا بضبط أبعاد هذا الموضوع على النحو الآتي:

- إشكالية الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على إشكالية رئيسية لضبط جوانب الموضوع وتتمثل في: كيف تمكن العقل الرافدي من استلهام فكرة الضبط الدقيق للمؤسسة التعليمية من جميع الجوانب دون الوقوع ضمن حيز الفراغ المرتبط بالمعرفة التراكمية فقط؟

كما أرفقنا البحث بمجموعة من التساؤلات الفرعية التي تندرج تحت عنوان دراستنا ولعل أهمها:

- هل حقيقة أن السومريين قد أنتجوا منظومة تعليمية بمعايير صارمة ودقيقة؟
- إلى أي مدى يمكن لنا كباحثين أن نقيم نجاعة المؤسسات التعليمية الرافدية من حيث مطابقة معايير الجودة المتعارف عليها ضمن طرق وأساليب التدريس الرائجة في العالم القديم؟

- ما هي أهم المجالات التي عيّنت بها المدرسة الرافدية القديمة؟ وما علاقتها بآفاق التسيير الناجح لمؤسسات الدولة القائمة آنذاك؟

- منهجية الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة بشكل عام على المنهج التاريخي الوصفي وكذا التحليلي في بعض مراحل البحث في سبيل تحليل بعض الأفكار المرتبطة بأبعاد الموضوع.

- الاعتماد على فكرة الانتقال الأفكار ذات الشمولية إلى المعطيات الخاصة بهدف تبسيط المعطيات وبلوغ نتائج ذات قيمة معرفية.

- أهداف الدراسة:

سعت هذه الدراسة لتحقيق بعض الأهداف المهمة، وتأتي في طليعتها:

- التعريف بالمدرسة الرافدية القديمة وما تقوم عليه من وسائل وتنظيمات خاصة.
 - تسليط الضوء على الهيكلة الدقيقة للنظام التعليمي الرافدي بشكل عام والسومري بشكل خاص.
 - استظهار أسبقية بلاد الرافدين في اعتماد أسس علمية ناجحة في تسيير النظام التعليمي والتربوي.
- ## 2. نشأة وتطور المدرسة الرافدية القديمة

1.2 ظهور ونشوء المدرسة الرافدية:

ظهرت المدرسة السومرية بشكل مباشر بعد ابتكار الخط المسماري وتطوره التدريجي، وقد انفرد الألف الثالث ق.م بتطور نظامه، فقد بينت النصوص الأثرية العدد الضخم للطلاب المزاولين لوظيفة الكتابة والمقدر عددهم بالآلاف، وقد تم ترتيب هؤلاء بناء على مجموعة من المقاييس وعملا بمفهوم الرتب فمنهم الكتبة الناشئون، الكتبة المتمرسون، كتبة القصور، كتبة المعابد، كتبة من الطبقة العليا والمختصين بتسيير الأمور الإدارية والكتبة من كبار مستخدمي الدولة (علي، 1999، صفحة 128).

حيث كان المبتغى الرئيسي للمدرسة السومرية التدريب المهني لتحقيق الأولويات الاقتصادية والإدارية الضرورية للبلاد وبالخصوص القصر والمعبد، وبناء على التحسن النوعي في تطبيق مناهجها فقد أصبحت مركزا للإشعاع الثقافي والتي تحقق بدورها البيئة المناسبة لطالب العلم للإمام بمختلف مجالات المعرفة، وقد أولت المدرسة الأولوية الفائقة لحركة التأليف المثالي، فكانت المؤلفات في حقول الآداب تلقن وتستنسخ بعناية فائقة مع توفر إسهامات لغوية مستحدثة، وكان المتعلم المتمرن يعنى بتخصيص جزء كبير من فترة تكوينه لمادة القانون وذلك باحترافه طريقة ضبط المصطلحات القانونية بشكل متكرر والعمل على استنساخ الأحكام الختامية الصادرة عن المحاكم (علي، 1999، الصفحات 128-129).

وقد تمتع متعلمو ضروب الكتابة والخط بمكانة مرموقة حيث كانوا غير مطالبين ببعض المهام الصعبة مع توفر ترقيات نوعية لمستواهم الاجتماعي، أما بخصوص المعابد فكانت تسعى بدورها إلى تكوين أجيال من طبقة الكتبة لتحقيق اكتفاءها النوعي وذلك قياسا على مهاراتهم الفريدة، إذ يستفيدون في هذه الهيئة الدينية من مختلف أصناف العلوم وهذا ما أسماه السومريون بـ "فن الكتابة" والذي اعتبر عندهم أرقى منازل الوعي الفكري، ويلخص محتواه المثل السومري القائل: "فن الكتابة أم الخطباء وأب الأساتذة" (الجميل، 2012، صفحة 40).

فتاريخيا كانت الأسس الأولى للمدارس قد وضعت ابتداء من النصف الثاني من الألف الثالث ق.م وذلك بغرض تهيئة المتعلمين لتسيير المناصب المهمة في الدولة لضمان السيورة الحسنة للأمور ذات الطابع الاقتصادي والإداري خصوصا، فخلال عهد الملك "سرجون الأكدي" وورثته ظهرت الحاجة الكبيرة إلى المسيرين الإداريين ورجال الكهنوت لذلك كان إلزاما على هذه المدارس الدينية تكوين الأفراد المناسبين، وكان التحضير لمباشرة الوظائف ذات الطابع الديني والمدني واضح المعالم ضمن برامج تلك المدارس وهو الأمر الذي يؤكد بشكل رسمي الصلة الوطيدة بين مختلف هذه الوظائف (أبيض، 2012، صفحة 19)، وتأتي إشارات هامة ضمن النصوص التي توضح طرق تكوين الكتبة وتعليمهم لفن التدوين وأصوله، إذ يستخلص منها توفر نظام دقيق لتدريب الكتبة بهدف المحافظة على استمرارية البنية التحتية الإدارية ضمن الهياكل الدينية وذلك عن طريق التواتر المنتظم للخبرات التدوينية باستمرار (الجميل، 2012، صفحة 169).

وبخصوص الأساتذة السومريين فهم مجموعة المتخرجين الذين كرسوا أوقاتهم لوظيفة تلقين العلم بواسطة البحث والتدوين، فبينما كانت تابعة لمؤسسة المعبد صارت لاحقا هيئة مستقلة، أما عن رواتب المدرسين فكانت تحصل من الأموال التي يدفعها الطلبة، وأخذوا بمبدأ أن

التعليم لم يكن إجباريا بل انحصر تلقينه على العائلات الميسورة الحال فقط، فضلا عن هذا الأمر فقد طرح فريق من المؤرخين سؤالاً جوهريا حول عدم وجود أسماء خاصة بالكاتبات (الجميلي، 2012، الصفحات 87-88)⁽²⁾ ضمن الألواح المدونة لتكون فكرة تعميم "التعليم الخاص بالذكر" هي الأقرب إلى الحقيقة (علي، 1999، صفحة 129)، لذلك فإن الإمام بفن التدوين في وادي الرافدين وبلدان الشرق عامة اقتصر على فئة معينة فالإنثاء لم يلتحقن بالمدارس (وجود استثناء بالنسبة لبنات الطبقة الثرية لكن دون وجود توضيحات مباشرة لهذه النظرية) وانحصر التدريس على الذكور من أبناء الشخصيات المرموقة، وكان مركزها القصور والمعابد التي كانت تدفع مستحقات المدرسين بالإضافة إلى الهدايا الممنوحة لهم، وكان للطلاب تفضيل خاص وهو استلامهم لوظائف ذات مداخيل كبيرة وذلك بعد إتمامهم لمهام التحصيل المعرفي (فرح، 1972، صفحة 42)، بينما نجد اتفاقا بين المختصين أن التدريس كان حكرا على الفئة الغنية ولم يكن متاحا للطبقات الأخرى كالعبيد إلا في بعض الحالات النادرة (الجميلي، 2012، صفحة 40).

2.2. المنهج الدراسي المتبع في المدرسة الرافدية القديمة:

فيما يتعلق بالنسق الدراسي المعمول به في المدرسة السومرية ففي جعبة المتخصصين مادة أثرية غزيرة في هذا الشأن، وتحتوي النصوص المتعلقة بالمدرسة إبداعات المتعلمين ومدوناتهم الشخصية انطلاقا من تدريبات الناشئين ووصولاً إلى طور الطالب المتمرس، وفي هذا الصدد صعب على الباحثين التفريق بين كتابات المتعلم عن المعلم نفسه، واعتباراً من هذا الإنتاج المدرسي المحفوظ يمكن تتبع خطى المدرسة السومرية ومنهجها الذي قسم إلى قسمين رئيسيين: الأول وهو الفرع المرتبط بالعلمي والقائم على أساليب البحث والثاني الجزء المتعلق بالتطوير والإبداع والمردود الأدبي (كريم، 1956، صفحة 44).

وإذا ما خصصنا حديثنا عن المجال اللغوي فتستحوذ دراسة اللغة السومرية على المراتب الأولى ضمن الألواح المدرسية، فضلا عن قرائح السومريين التي جادت بتشكيل أولى المعاجم وكذلك استنساخ النصوص وإتباع طريقة المذاكرة، في حين يركز المنهج المرتبط بالإبداع الأدبي على تفعيل مبدأي الفحص والاستنساخ وتجميع الموضوعات المتعلقة بالمؤلفات التي انتشرت بكثرة خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، وقد بويت هذه الإبداعات الفكرية ضمن الحقل الخاص بباب الشعر (علي، 1999، صفحة 40).

وباعتماد عملية التدقيق في فحص النصوص اتضح أن طريقة النسخ تعتمد مبدئياً أسلوب الدقة في أبعد صورها، ويظهر الحرص الكبير على بلوغ مرحلة الإتقان في كون معظم النصوص التي خضعت للتحليل تحوي هوامش وتذييلات تدل على كبر المسؤولية الملقاة على عاتق النساخ، لذلك سعوا لوضع دياجعة تعتمد على النقل الأصلي من النسخة الحقيقية، وفي هذا الصدد يتم الإشارة إلى اسم الناسخ والتاريخ المرتبط بالاستنساخ ولعل الغاية من وراء هذه الممارسات هو الوقوف في وجه محرفي النصوص (علي، 1999، صفحة 40).

في حين لم تبين الألواح طبيعة المنظومة المتبعة في تطبيق المناهج خلال تلك الحقبة، فقد قدمت لنا عمليات الكشف الأثري أعداد هائلة من الألواح المشتملة على التمارين المدرسية المدرجة للطلبة، والشيء الملاحظ في محتوياتها التباين الواضح في أنواع الكتابات من حيث البراعة، فمنها الألواح الرديئة الخاصة بالطلبة الناشئين على نقيض تلك ذات النسق المنتظم التي تفنن فيها الطلبة المقبلون على إنهاء تكوينهم المعرفي (علي، 1999، صفحة 128).

(2)- فيما يتعلق بموضوع ندرة أو انعدام الكاتبات فنلاحظ أن المؤرخ "عامر عبد الله الجميلي" يقف موقفا معاكسا لهذا الرأي حيث يقول: "إن أقدم المؤشرات التي تنم عن وجود كاتبات تعود إلى الفترة الأكديّة، إذ ظهرت ضمن هذا المجال "أنخيدوانا Enheduanna" أربع الكاتبات آنذاك وهي ابنة "سرجون الأكدي"، وقد تقلدت هذه المدونة وظيفة "الكاهنة الكبرى Entu" لإله القمر "سين" في مدينة أور الكلدانية، ثم صارت لاحقا كاهنة للإله أنو في مدينة أوروك، كما ذاع صيتها في مجال الأدب كصاحبة قصائد في مدح للإلهة الكبرى عشتار".

وإلى جانب المدارس الملحقة بالمعابد نجد تلك المدارس من النوع الخاص، ومن أولويات الجانب التعليمي التي كان الطالب معنا بها هي أن يفقه طريقة التخطيط واكتساب المهارات المتعلقة بمعايير الكتابة المسمارية لينتقل لاحقا إلى مرحلة أرقى تعتمد على تعلم أصول اللغة وقواعدها، فخلال الفترة البابلية كان إلزاما على المتدرب تعلم اللغتين السومرية والبابلية وهذا الأمر جعل التدريس يشغل حيزا زمنيا كبير بالخصوص إذا أراد المتعلم أن يصبح متفوقا، فضلا عن هذا النوع من التلقين نجد تخصصات متنوعة في شتى فروع المعرفة مثل: الطب والفلك، التشريع، الموسيقى، الرياضيات والتي يتعلم الطالب أصولها ضمن معاهد خاصة (عصفور، 1981، صفحة 244).

في الجانبين التاريخي والأثري فقد تم الكشف عن عدد من الرقيمات التي تنسب إلى الملك البابلي "حمورابي" وتضم هذه الأخيرة نماذج واضحة عن أساليب التعليم، وتستند في شكلها العام على ترجمة العلامات السهلة كمرحلة أولية لتليها مرحلة التخصص في دراسة قيمتها الصوتية بتدريب الطلبة على طرق استخدام مجاميع العلامات والإشارات ثم الصيغ التداولية، وتظهر نجاعة هذه الطرق في كيفية تكوين شخصية التلميذ بمنحه دروسا حول كيفية الصياغة ثم ينهي تعليمه بالإلمام بالرياضيات وأسسها (بورت، 1997، صفحة 198).

ونفس الصيغة تم إثباتها في موقع "Nihur" (الأثري) (كرمر، 1956، الصفحات 371-372)، حيث كانت ألواح مكتبتها مرتبة ضمن رفوف طينية، ولم يتوقف الأمر على مركز حفظ السجلات الملحق بالمعبد بل شيدت مدرسة ألحقت بها عن قصد، وقد عثر ضمن بقاياها على نماذج من الدروس والتمارين التي بفضلها تمكن الباحثون من الإحاطة بطرق تلقين القواعد السومرية بالنسبة للطلبة الجدد، لكنه بالرغم من قيمة ألواحها ذات الصبغة العلمية فلا يمكن أن نقارنها بنظيرتها من مدرسة "حمورابي" التي يمكن اعتبارها أقدم مدرسة تم تكوينها، ويمكننا أن نجعل هذا الحديث صحيحا إذا كان المفهوم المتعارف عليه يقصد به البيت المخصص لتلقين المعارف والعلوم (سارتون، 1963، صفحة 160).

وبخصوص هيكلية المنظومة المدرسية فقد كانت منسقة بشكل متكامل، ويعرف المدرس بمسمى "أميا" (الجميل، 2012، صفحة 47) ⁽³⁾ ويقصد بها ضمنا معنى الخبير أو "أب المدرسة" بينما يسمى المتعلم "ابن المدرسة" (الجميل، 2012، صفحة 48) ⁽⁴⁾، فضلا عن المعاون الذي ذكرته المصادر تحت مسمى "الأخ الكبير" والموكل بتدوين الألواح الجديدة ليقوم الطلبة المتدربون بالاستنساخ منها، مع معاينة العينات المنسوخة والحرص على سيرورة المذاكرة بفعالية، مع وجود "المسؤول على الرسم" و"القائم على شؤون اللغة السومرية" والمسير المتابع لعملية حفظ النظام الداخلي، وهذا بصفة عامة التنظيم الهيكلي الداخلي للمدرسة (كرمر، 1956، الصفحات 47-48)، واشتملت أيضا على العديد من المعلمين المتخصصين على غرار "طوبشارنشد" الخبير بالرياضيات و"طوبشارأشكا" خبير المسائل في الجانب الهندسي فضلا عن "طوبشاركنكيرا" المتمرس في اللغة السومرية وهي المادة الأكثر تلقينا، وقد أبدع هؤلاء في تأليف القواميس والمعاجم واعتبرت مجهوداتهم الأولى من نوعها في تاريخ العلوم البشرية (مطر، 2009، صفحة 361)، كما قدمت لنا النصوص معارف كاملة عن المنظومة التعليمية وأمور دقيقة مرتبطة بالمدرسة ومسيريها وعن المناهج التربوية، وعثر في محتويات تلك النصوص على مذكرات المتعلمين التي تتكلم عن "الأوقات الدراسية" وما يحتويه التعليم من مكانة مرموقة، وقد وصلت إلينا هذه المعلومات على شاكلة نصوص تربوية مدونة باللسان السومري (الجميل، 2012، صفحة 46).

(3) - ما يقابله في اللغة الأكديّة كلمة (Ummenu) (أمان) ويمثلها في الوقت الحالي منصب "المشرف التربوي".

(4) - اسمه في اللغة السومرية (Damu.E.Duba.Ba) وفي القواعد الأكديّة (مار - بيت - طوبات Mar Bit Tuppati) وجاءت مصطلحات للدلالة عليه أهمها (طبشر صخر TupsarruSahru) والتي مفادها الكاتب المتربص.

حيث وضح اللوح رقم (11) الذي عثر عليه ضمن مخلفات موقع "تل حرمل" (عواد، 1986، صفحة 67) ⁽⁵⁾ كيفية سير عمل المنظومة التربوية، ويبرز هذا اللوح "أوقات الدراسة وبركة المدرس" وهو محفوظ حالياً ضمن أربعة أجزاء بجامعة بغداد، ويحمل في طياته رسالة مؤثرة عن الحياة في كنف المدرسة السومرية، كما اشتمل اللوح توقيعاً لكاتبه وجاءت صياغته على النحو الآتي: "نسخة نابي-إنليل"، واللوحة رقم (13) الذي كشف عنه ضمن حفريات موقع "نفر" والذي يحتوي على اقتباسات من أقدم معجم لغوي، وتوجد في الجانب الأيسر من هذا اللوح العبارات بالخط السومري وما يضاهاها في اللسان الأكدي، وتبرز على هذا اللوح آثار الخدوش والمحو وهذا دليل مباشر على عملية الاستنساخ الخاطئ للمتدرب دون وجود رقابة من طرف "معاون الأستاذ" (كريم، 1956، الصفحات 43-415).

أما "خزانات الكتب" فيشتمل المعبد على غرفة خاصة تحوي عدداً معتبراً من الألواح والمسماة بـ "خزانة الكتب المدرسية" ليستعين بها الطلاب الكهنة، كما تتواجد حجرة واسعة ترتب فيها مجموعات الألواح التي تشمل على مدونات التعويذات، العرافة والكهانة، الفأل، ونصوص متنوعة ذات طابع سحري وديني، ومن الهياكل الملحقة بالمعبد "الديوان المخصص للسجلات" الذي تبوب فيه الوثائق المرتبطة بمداخل المعبد، هذا ونضيف إلى ذلك مجموعة نسخ ومناشير ذات صبغة ملكية والمراسلات مع الحكام الأجانب التي تكتسي طابعاً دبلوماسياً والمدونات الرسمية المتنوعة (كريم، 1956، الصفحات 42-43)، ووفرة المراكز التعليمية وأرشيفات الكتب عامة ليس الهدف الرئيسي من ورائها توفير مستلزمات الكتابة والاحتفاظ بالسجلات فحسب وإنما قد وجدت بهدف حفظ اللغة وجعلها مادة أساسية تفادياً لاحتمال أن تتغير بسرعة كبيرة والكتابة هي الوسيلة الضرورية التي تساهم فيديمومتها (علي، 1999، صفحة 126).

وفيما يتعلق بمنزل الألواح فقد وصفت لنا يوميات الطالب، حيث أن أستاذاً سومرياً قد دون ضمن مذكراته عن أيام الدراسة وهي مدونة على لوحات ترجع إلى حدود عام 2000 ق.م ولعل أهم ما ورد في محتواها: "أيها المتخرج القديم، أي مكان كنت تقصد في مرحلة الصبا؟ فيجب قائلًا: كنت أقصد المدرسة، فيسأله المعلم: وما كنت تفعله هناك؟ فيرد عليه المتعلم: كنت أراجع لوحاتي وأتناول غدائي ثم أقوم بتحضير لوحتي الجديد لأنهي عملية كتابته (نخبة من الباحثين العراقيين، 1985، الصفحات 380-381)، ثم يعين لي المدرسون الدرس الشفوي، وخلال فترة العصر يخصصون لي درسي المدون، وعندما أنهى فترة الدراسة أرجع إلى المنزل لأجد والدي جالساً هناك، فأطلعه على محتوى درسي ثم أظهر له لوحاتي فيسعد بذلك..." (علي، 1999، صفحة 132).

أما بخصوص الجانب التركيبي للمدارس فهي محتواة ضمن المعابد أو تكون إحدى ملحقاتها الرسمية "هذا الطرح منطقي جداً لأن العقلية الرافدية مرتبطة بشكل كلي بالفكر الديني"، تستلزم المراحل الأولية فيها الإلمام بالأسس ثم إتقان الإشارات الغير معقدة، ثم التدريب لاحقاً على استخدام هذه العلامات حسب ما يتماشى مع الصيغ المتعارف عليها ثم ينتقل المتعلم بعدها إلى المرحلة الختامية أين يتقن العلوم الركيزة، وكانت تبنى إضافة إلى هذه المدارس مكتبات العلم والحكمة ولعل أبرزها مراكز حفظ الوثائق وأرشيفات حفظ الألواح، حيث يستفيد المتدرب من تكوين ذا فعالية ضمن إحدى المجالات المتخصصة: الطب، التشريع والفلك (عبد الحليم، 1973، صفحة 197).

وقد أوجد مؤطرو المدرسة السومرية طريقة ميسرة تقوم على تبويب اللغة السومرية إلى مجموعة من الكلمات والعبارات ذات الصلة الوثيقة بينها والتي ضمت مجالات عديدة، فاشتملت على تسميات النباتات، الطيور، المدن والأحجار والمعادن، وتشير هذه الكلمات إلى

⁽⁵⁾ - أظهرت الحفريات الأثرية بهذا الموقع عن وجود حوالي 1500 لوحة فخارية ذات أحجام وأنواع مختلفة، وتدل دون أدنى شك عن توفر "دور السجلات" ضمن هذه المدينة واشتملت هذه الخزانة على مجموعة نصوص ذات صبغة تشريعية وتجارية مثل: الصكوك والعقود، نصوص مرتبطة بالأحوال الشخصية كالتبني والزواج فضلاً عن مدونات في اللغة السومرية منظمة بنمط معجمي وألواح لغوية ذات نسق علمي تحوي قوائم بأسماء الطيور المتنوعة والآلهة.

وجود إلمام كبير بالمعارف العامة وهي حقيقة بدأ الباحثون في إقرار مصداقيتها (كريم، 1956، الصفحات 48-49) ومن بين هؤلاء نذكر "إدوارد كييرا" صاحب كتاب "الألواح البابلية"، و"كتبوا على الطين" حيث تحدث عن المدارس التي عثر عليها الأثريون وهي بكامل معداتها، واشتملت اللقى الخاصة بها على كتابات التلاميذ وتصحيحات الأستاذ في ما بين السطور (ظاظا، 1990، صفحة 27).



الملحق 01: ألواح طينية رافدية مكتوبة باللغة السومرية استعملت بغرض تدوين التمارين المدرسية 3. الرصيد المعرفي التراكمي كنتاج لنجاعة المنظومة التعليمية الرافدية

1.3. علم التاريخ:

إن أهم ما قام به مدونو الأحداث هو تجميعها وترتيبها ضمن قائمة تسلسلية يؤرخون بها لحكامهم منذ اعتلائهم كرسي العرش، فأبرز الحوادث التي شملت المدونات لم تهتم فقط بتتبع أثر الحملات العسكرية للملوك وانجازاتهم العمرانية فقط بل اشتملت على تعليقات وأحداث غاية في الأهمية، فالسجلات ضرورية للإلمام بالفترات الخاصة بسلطة الملوك وتناولهم على الحكم واستمرارية خلفائهم من بعدهم، وعن طريق تجميع هذه المعطيات يمكن تشكيل القوائم المصدرة، كما اهتم الأكديون والبابليون بأشكال خاصة من التدوين التاريخي وهي المدونات التي تتغنى بأجداد الحكام والمنجزة على الحجارة، الألواح الطينية والتمثيل، ولعل أهم ميزة لهذه المدونات هو التشعب والتنوع الأمر الذي جعل منها مصدرا محوريا في بناء معارفنا عن تاريخ المنطقة (علي، 1999، صفحة 148).

وقد انحصر المفهوم العام للتاريخ عند المدون الرافدي في تواتر الأخبار والعمل على إعطائها تعليقات منطقية، حيث وبناء على رأي المختصين كانت "قوائم الملوك" السومرية أقدم المصادر التي قدمت لنا صورة واضحة عن المعنى الدقيق للتاريخ، حيث تناول هذا المصدر معلومات قيمة عن الفتوحات العسكرية ونقل مراكز الحكم، ويعتبر الحدث المفصلي في تدوين المعطيات التاريخية هو "الطوفان"، بحيث أدرجت القوائم أسماء ملوك حكموا عهودا قبل وقوعه وبعده، ولعل أهم ما يجب التنويه إليه هو كثرة الأخطاء الكتابية المرتبطة بإطالة فترة حكم الملوك، مع غياب أخبار العديد منهم ولعل الفكرة المرجحة في هذا التعطيم هو وجود عداوات سياسية بين السلالات الملكية، لكن وبالرغم من كل هذه النقائص يمكننا أن نعتبر هذه الوثائق فريدة لكونها الأولى من نوعها في هذا المجال (نخبة من الباحثين العراقيين، 1985، الصفحات 270-273).

وبخصوص تصنيف أقسام المدونات التاريخية فقد احتوت على أربعة أنواع: أولها "الحوليات" والتي تفصل في ذكر الأحداث بترتيب زمني دقيق، وثانيها "تاريخ الحروب" الذي يختص بتتبع مسار الحملات العسكرية، وفي المقام الثالث نذكر "التقاويم" التي تقوم بتجميع الوقائع

تبعاً للأقاليم الجغرافية، وأخيراً "التقارير" المتضمنة لخطابات مهداة على شرف الإله "آشور" والتي يتم إدراجها مع اختتام كل حملة حربية إيجابية، وقد اشتملت هذه المدونات على عدة أجزاء: مع البداية يتم تقديم جيوغرافيا للحاكم مرفوعة بمجموع إنجازاته، مع التفصيل في نسبه ثم ذكر الحوادث المرتبطة بحكمه كالحروب والمنشآت العمرانية، أما الجزء الأخير فيعني بالبعد الديني ويشمل اللعنات المرتبطة بمخربي هذه الكتابات المنقوشة على جدران المعابد والقصور والأسطوانات بشكل محوري (بورت، 1997، صفحة 346).

2.3. علم الجغرافيا:

استند هذا العلم في بداياته على مجموعة من العوامل المساعدة كاتساع مجال التجارة والغزوات العسكرية وتطور أساليب قياس مساحات الأراضي، وقد ألف المفكر السومري مدونا ضخماً في الجغرافيا يتضمن مجموعة جداول طويلة تحمل مسميات الحواضر في بلاد ما بين النهرين والمناطق المحيطة بها، كما وضعت ملاحظات إضافية حول أسماء المراكز الدينية وإيضاحات مرتبطة بأسماء بعض المناطق وهي مدونة بالكتابتين السومرية والبابلية، إضافة إلى ذلك فقد شكلوا خرائط دقيقة للمدن والقنوات المائية وللعالم المعروف لديهم آنذاك، وفي هذا الإطار تعد خريطة مدينة "نيبور" التي يرقى تاريخها إلى الألف الثاني ق.م أقدم نموذج معروف للمصورات الجغرافية (علي، 1999، صفحة 148).

عني سكان بلاد الرافدين بتضاريس بلادهم ويظهر ذلك جلياً من خلال ما خلفه بعض الحكام من نقوش ومنحوتات تبرز العديد من المظاهر الطبيعية على غرار النحت النافر لجدران قصر "آشور بانبيال" (نخبة من الباحثين العراقيين، 1985، الصفحات 282-284)، وقد عثر الباحثون على مجموعة من الوثائق المرتبطة بالجغرافية التاريخية وتحتوي القوائم المختصة بإحصاء الأقسام الإدارية والبعض منها يصنف ضمن مجال الإرشاد والتوجيه خلال الأسفار مثل ثبت الملك "سرجون الأكدي" الخاص بتوسعاته العسكرية، ثم فإن الخرائط المتنوعة قدمت إضافة نوعية ليخطو هذا العلم خطوة كبيرة نحو الأمام (سارتون، 1963، صفحة 186)، كما اهتم الكتبة بكتابة مدونات تصنيفية للمجتمعات الريفية والمدنية وقوائم مرتبطة بأنساب التجمعات القبلية، إلا أنهم في الحقيقة لم يكونوا علماء قائماً بذاته يمكن أن يكون أقرب إلى ما يصطلح عليه بـ "جغرافية الأجناس"، كما أبدعوا كل الإبداع في تخصص هندسة الري الزراعي ولعل وجه التعليل في هذا الأمر هو العثور على الكثير من التقنيات التي بينتها الحفائر الأثرية كمشاريع التهئية والري في أربيل ونيوى (نخبة من الباحثين العراقيين، 1985، صفحة 191).

وضمن المجال الجغرافي اعتبرت بعض المناطق المرتبطة بالرافديين أن مدينة بابل تعد "مركزاً للعالم القديم"، فخلال فترة الحكم البابلي القديم كان من وجه الضرورة العلمية الربط بين الجغرافيا والمدونات التاريخية بهدف التوضيح، وبناء على هذا الأمر فقد عمل الرافديون على تشكيل العديد من المعاجم المختصة بذكر المناطق المختلفة (سارتون، 1963، الصفحات 279-281).

3.3. علم الفلك:

عرفت الحضارة الرافدية بوضع أسس هذا العلم منذ المراحل المبكرة من فجر التاريخ، والدليل على صحة هذا القول أسبقية البابليين في تنظيم قواعده وهو الأمر الذي جعل العديد من الشعوب تستلهمه منهم كالإغريق القدماء، فقد تركوا لنا ملحوظات مدونة تتعلق بالأجرام السماوية وحركتها، كما يرجح أن حاجتهم الملحة لتحديد مواعيد بداية الفصول وضبط الرزنامة هي الدافع الحقيقي وراء بروز هذا العلم المرتبط في أصوله بالتنجيم، كما اعتبر الرافديون أن الشمس هي محور الأرض واستخلصوا وجود علاقة تلازمية بين ظاهرتي المد والجزر والقمر، واستغلوا في مرصدهم الفلكية الكثير من الوسائل التقنية مثل "الزقورات" التي سخرت لتتبع حركة الأجسام الكونية فضلاً عن

ماهيتها الدينية(عصفور، 1981، الصفحات 250-251)، فقد كان هدف البابليين الحقيقي من تطوير هذا العلم ازدياد حاجتهم إليه لتنظيم الرحلات التجارية وللإحاطة المسبقة بمصائهم ومصير حكامهم (إسماعيل، صفحة 121).

4.3. الطب:

تختص المعرفة المرتبطة بسعة تخصص الطب بمضامين الألواح الطبية والتي تتكون عموما من كتيبات صغيرة مختصرة وكذلك وصفات طبية أدمجت مع رسائل ورد ذكرها ضمن محتوى القوانين مع ظهور البعض منها في الآداب الرافدية والتي تبرز الرابطة الموجودة بين المعالج والمريض مع ذكر مكانته الاجتماعية المهمة(إسماعيل، صفحة 123)، وضمن هذا الصدد فقد عثرت فرقة أثرية ملحقة بجامعة "فيلادلفيا" على لوح طيني يرقى تاريخه إلى نهاية الألفية الثالثة ق.م، ويتضمن ملخصا لاجتهادات ضمن مجال الطب والذي يعتبر كأقدم نموذج لمدون موجز في الطب والذي عثر عليه في مدينة "نيبور"(عزنوق، 1999، صفحة 17)، وتبين هذه المؤلفات اختلاف الطرق المستعملة لعلاج الأمراض ولعل أهمها: جذور نباتات، زيوت ومساحيق وتشكيلة من التعاويذ المحضرة لإبعاد المكونات الشريرة التي تعتبر المسبب الرئيسي للأمراض(بورت، 1997، صفحة 357)، وقد انفرد الأطباء البابليون بالإلمام بالعديد من الأمراض مثل: الجذام والأورام الخبيثة، وتشكلت أدويتهم بصفة عامة من مستحضرات نباتية أو من مصادر معدنية وحيوانية(زايد، دت، صفحة 196).

ولحساسية هذا التخصص كان الطبيب يقضي سنوات طويلة في المعاهد لتلقي المبادئ الأساسية للعلوم المرتبطة بتخصصه، ثم يتفرغ لاحقا لفترة التربص الميداني لمدة طويلة مع زميل أقدم منه في الميدان، مع الأخذ بعين الاعتبار فكرة أن الأطباء قد حظوا بمكانة متميزة والدليل على ذلك أن استشارتهم يعد أمرا إجباريا، لذلك كان الحكام يقومون بعملية تبادل المعالجين فيما بينهم(إسماعيل، صفحة 124)، وكان العديد منهم يؤدون الأدوار المنوطة بهم كموظفين دائمين عندهم، وبخصوص أقسام الأطباء فقد صنفوا ضمن نوعين: الجراحين والمعالجين بالعقاقير الذين صنفوا الأدوية بدورها إلى فرعين وذلك حسب متطلبات الاستخدام منها الأدوية على شكل مراهم والأخرى ذات الاستعمال الداخلي، فضلا عن ذلك فقد استعملت كذلك الأدوات الخاصة بجراحة المناطق الدقيقة لدى المريض(عصفور، 1981، صفحة 254).

ومن بين الأدوية المشهورة آنذاك فقد ذكرت وصفات طبية تعود لعهد سلالة "أور الثالثة" منها وصفات تشرح طرق تحضير الدهون باستعمال أعشاب مختلفة الأنواع ومنتجات حيوانية، وضمن مدونة طويلة يطلق عليها اسم "ماشتاكال Mastakal"(الأحمد، 1974، صفحة 120)، ذكرت أسماء أعشاب وأجزاء حيوانية وكذا أوراق النباتات وجذورها، ووردت أسماء معادن أساسية الاستخدام ويأتي في مقدمتها الملح (إسماعيل، صفحة 127).

أما فيما يتعلق بالصيدلة فقد اشتملت الوثائق الأرشيفية على معلومات ذات منفردة إذا ما قيسست بنظيرتها المصرية، ولعل السر في ذلك كونها حفظت بطريقة فعالة ضمن الألواح التي قاومت تغيرات الأزمنة، فعدد معتبر من الألواح السومرية والأكدية تحوي معارف غنية مرتبطة بنشأة وتطور الطب، وبعد الفحص الجيد لها اتضح أنه خلال الألف الثالث ق.م قد تواجد أطباء محترفون والذين كانوا يفقهون الأدوية بصفة كلية وبجميع مصادرها، وفي هذا الصدد فقد قدم لنا علماء الآشوريات معارف شاملة عن محتويات هذه الوصفات وأساليب العلاج (Mazars, n d, p. 56)، وقد أكدت الألواح أن أطباء وصيدلة بابل قد ابتدعوا أسلوبا مبتكرا لدراسة أصناف الأعشاب إذ وضعوا عمودا لاسم العشب وعمودا آخر لاسم المرض، وخصصوا عمودا لتفسير أسلوب تحضير الدواء أما العمود الأخير فقد اشتمل على مجموع الإرشادات المتعلقة بكيفية استخدام الدواء(علي ر.، دت، صفحة 20)، وقد تمكن طبيب سومري بقي اسمه غير معلوم والذي عاش خلال نهاية الألف الثالث ق.م من أن يدون وصفاته الطبية بهدف أن يستعملها زملاؤه وقد صاغ ما يتجاوز اثني عشر وصفة طبية تحوي

الأدوية الأكثر استعمالا عنده، وأول من قام بنشر هذا اللوح هو الباحث "ليون ليجران **Léon Le grain**" الأمين العام للمتحف البابلي ضمن مقال علمي جاء تحت عنوان "صيدلية نيبور القديمة" (الماجدي، 1998، صفحة 142).

5.3. علم الرياضيات:

نبح الرافديون نبوغا بارزا ضمن هذا المجال فقد اهتموا في البداية إلى العمليات الحسابية البسيطة كالطرح والجمع ثم كونوا لاحقا جداول للضرب، ومن المؤكد أن تمكنهم من الحساب يرقى إلى حدود عام 3500 ق.م وذلك بسبب احتياجهم إلى ابتكار التقويم، ثم ظهرت في فترة لاحقة الموازين، المكييل والعمليات التجارية خلال حكم الأكديين، وفيما بعد تجلت الرياضيات في الأعمال الهندسية ذات الطابع العمراني، وتميزت الفترة البابلية القديمة بتقدم ملحوظ للعلوم والتدوين مع تفوق المعارف الجبرية على نظيرتها الهندسية (زايد، دت، صفحة 195)، كما فرضت الضرورة لضبط ميزانية المراكز الدينية إلى معرفة الأعداد، ولعل العمل الأهم والمساعد على تقدم الرياضيات في بلاد ما بين النهرين هو نشاطها التجاري الحيوي مع المناطق المجاورة لها، كما استعملتها لتنظيم الري وحفر الطرق لعبور القوافل التجارية، ووجدت عندهم الترتيبات الرياضية مثل جداول الضرب واستخدام الجذور فضلا عن توفر بعض المسائل المحلولة، وبلغوا مرحلة حساب مساحات وأحجام الأشكال وعرفوا خواص الدوائر والكثير من المسائل الرياضية (عصفور، 1981، الصفحات 249-250).

تميزت عملية فحص النصوص الرياضية عند المختصين بالصعوبة وذلك لقلّة الوثائق، فبالرغم من توفر أعداد هائلة من النصوص إلا أن نسبة الرياضيات منها لا تتجاوز أربع مائة وثيقة، لكن الملاحظ أنه خلال أعمال التنقيب الحديثة في موقع "سيبار" فقد أظهرت وجود نصوص جديدة (نخبة من الباحثين العراقيين، 1985، صفحة 295)، أما فيما يخص المخزون الرياضي فقد كان البابليون سبقين إلى هذا المجال، حيث قسموا الدائرة إلى 360 درجة وقاموا بقياس الزوايا، كما نسب اختراع النظام الستيني إلى السومريين، وتوصل البابليون إلى معرفة الجداول المطولة وجداول لرفع الأعداد إلى قوى مختلفة وجداول موضوعة للجذور، وبخصوص علم الجبر فقد قطع شوطا مهما عندهم، ويرجح أن العلماء المسلمين قد أخذوا معارفهم من البابليين أكثر من اعتمادهم على علماء اليونان، وكانوا على علم بالمعادلات الجبرية من كل الدرجات، ويتوفر في هذا الشأن ضمن المتحف البريطاني لوح يتضمن معادلة من الدرجة الثانية (علي س.، 1999، الصفحات 143-144).

6.3. علم المعارف الطبيعية:

جمع الرافديون أسماء المئات من الأنواع الحيوانية منها المدجنة والطيور على الرقم ذات التصنيف المعجمي بحيث وصلتنا قوائم مطولة منذ سلالة أسرة "أور الثالثة"، وتضاعف عددها خلال الفترة الآشورية الحديثة، كما وضحت الوثائق ذات الطابع الإداري والمدونات الملكية والرسائل توفر عدد هائل من أسماء الحيوانات التي تحصل عليها الملوك كغنائم أو على شكل هدايا وهبات، إضافة إلى أن النقوشات والأعمال الفنية المتنوعة قد أشارت إلى تلك الأنواع (أبوايه، 1976، صفحة 197)، وأكثرها ذكرا في النصوص: الخيول، الأسود، والغزلان، أما الطيور فقد ذكرت ضمن القوائم المرتبطة بالفهارس والجانب التعليمي وأهمها: الجوارح، وأشهر هذه النصوص نص "تل حرمل" الذي بين وجود نحو 270 صنفا من الطيور ونص مدينة "سيبار" الذي يصنف نحو 70 نوعا، وبالرغم من هذه المعلومات المهمة إلا أن الكثير من أسماء هذه الأنواع بقي غير معلوم (نخبة من الباحثين العراقيين، 1985، الصفحات 355-356).

كما وضع الكتبة قوائم تدريسية تشمل أسماء للنباتات والحيوانات والمعادن، وقاموا بوضعها ضمن أبواب، وخلال الألف الثالث ق.م وضع السومريون بحثا جادا في علم الزراعة حيث درست فيه مكونات التربة وخصائصها، النباتات، ووصفات مكتوبة بالخط المسماري والتي

توضح طريقة تشكيل الأحجار الصناعية (اللازورد)، وامتزجت هذه العلوم لاحقا بمجال السحر كما استخدمت لأغراض اقتصادية (فرح، 1972، الصفحات 55-56).

في حين أن استعمال المعادن يعتبر أحد النقاط المساهمة في ظهور علم الكيمياء وتطورها، فقد تم تصنيع البرونز منذ عهد "جمدة نصر" وتشير بقايا جبانات "أور" إلى تمكنهم الكبير في مجال مزج الذهب (مارغون، 1999، صفحة 202) ⁽⁶⁾ والفضة (مارغون، 1999، صفحة 202) ⁽⁷⁾ وكذلك النحاس (مارغون، 1999، صفحة 204) ⁽⁸⁾ بالقصدير (مارغون، 1999، صفحة 204) ⁽⁹⁾ وبالرصاص (مارغون، 1999، صفحة 204) ⁽¹⁰⁾، وبخصوص مادة الحديد فلم يبدأ استخدامه إلا مع بدايات الألف الأول ق.م وكان انتشاره الكبير خلال العهد الآشوري الحديث، وبلغوا بتجارهم الناجحة إلى جمع معلومات مهمة عن خصائص المعادن وبعض الطرائق الكيميائية والإلمام بكيفية صنع الأصباغ، العقاقير وبعض المشروبات (علي س.، 1999، صفحة 147)، وقد وضحت النصوص أسماء المعادن والأحجار والأملاح وأبرزت النصوص المفهومة معرفة الرافدين بكل أنواع المعادن: الشب الأبيض والأسود والحجر البركاني وكذلك الفضة، الذهب، النحاس، البرونز، الحديد والرصاص وكذلك من الأملاح نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ملح الطعام، الكبريت، كما عرفوا أيضا القار (نخبة من الباحثين العراقيين، 1985، الصفحات 361-362).

4. خاتمة:

بعد دراستنا لمقومات بناء المدرسة الرافدية القديمة استخلصنا مجموعة من النتائج المرتبطة بمدى تمكن الرافدين في مجال تبويب المعارف المهمة والتي قاموا بتجميعها من خلاصة تجاربهم عبر فترات حكمهم التاريخية، وبالطبع تختلف هذه المحصلات بين ما هو إيجابي وما هو سلبي، لكن يبقى المؤرخ عموما ضمن هذا السياق بعيدا كل البعد عن مبدأ إطلاق الأحكام المسبقة حول محصلات الإنتاج العلمي باعتباره خاضعا لمجموعة من التحفظات والظروف والتي تتحكم في إبداعات الرافدين، ومن بين النتائج التي توصلنا إليها نذكر ما يلي:

1. رغم كل المزايا التي تمتعت بها المدرسة الرافدية فقد بقيت المؤسسات التعليمية مرتبطة أشد الارتباط بالمؤسسة الكهنوتية والسلطة السياسية، كما أن فقدان العديد من الألواح المدرسية وتهشم جزء معتبر منها وقف سدا منيعا أمام محاولة الباحثين لتشكيل تصور شامل

(6)-الذهب: تساوي قيمته ست مرات قيمة الفضة خلال الألف الثانية ق.م، وقد تم إحضاره من المناطق ذات الطابع الجبلي وكذلك من الهند، جبال طوروس ومصر.

(7)-الفضة: تعتبر من المعادن الأكثر رواجاً من الذهب كونها تستعمل كمعيار رئيسي للتبادلات اليومية، لم يتم العثور عليها كمعدن صافي إلا نادراً لأنها عادة تكون ممزوجة بمادة الرصاص ومصدرها الفعلي المناطق الجبلية، وفي هذا الصدد لم تذكر النصوص القديمة إلا منطقتي "عيلام" و"كابادوكية".

(8)-النحاس: من المعادن الأكثر أهمية حيث تعتبر منطقة "دلمون" على الخليج الفارسي وكذا منطقتي "زاجروس" شرق بلاد الرافدين و"طوروس" إضافة إلى جزيرة "قبرص" هي أكثر المناطق إنتاجاً له.

(9)-القصدير: احتل مكانة كبيرة مع بداية عصر البرونز نظراً لاستخدامه الواسع في صناعة السبائك، وخلال عهد الملك "زمرى-ليم" ملك مملكة "ماري" فقد كان يستورد كميات كبيرة من هذه المادة من منطقة عيلام، وخلال الألف الأولى ق.م ذاع صيت إسبانيا بتصديره إلى منطقة بلاد ما بين النهرين.

(10)-الرصاص: عرفه الإنسان منذ البابليوني، وبرز جلياً ضمن النصوص خلال الألف الثالثة ق.م يعادل سعره ثمن النحاس، وإن بقاءه كان مرهوناً دوماً بدوام توفره في مناجم الفضة.

- عن هذه المنظومة، من جانب آخر ورغم الكم الهائل من الألواح المدرسية إلا أن نتائج التنقيب أثبتت بساطتها والدليل على ذلك الكم المعرفي المتحصل عليه ضمن خرائبها والتي تعد نوعا ما بديهية (في هذا الصدد تبين لنا عمليات التنقيب أن معظم النصوص تحوي على تشكيلة من التمارين المدرسية التي قدمت بهدف تدريب المتعلمين، وبالتالي فهي غير علمية بالمعنى الاصطلاحي).
2. برع الرافديون القدامى في شتى أنواع المعارف والتجارب العلمية، فيعتبرون وبناء على الأدلة التاريخية من الشعوب السباقة إلى ميدان التجريب العلمي والاستنباط المعرفي ولعل ما أتى به الشعب الإغريقي من علوم قيمة بالخصوص الرياضيات والفلسفة لم يكن من العدم بل هو خلاصة التجربة الرافدية الفريدة من نوعها.
3. تعتبر الكتابة من أبرز ما أنتجه الفكر الرافدي الذي وصل إلى قمة الوعي الحضاري وذلك عن طريق تكوين المظاهر المبكرة للاتصال اللغوي، ومع الأخذ بعين الاعتبار فكرة أسبقية الرافديين إلى هذا الرصيد الحضاري فمن المنطقي جدا أن تكون المدرسة الأولية والأطر التعليمية ضمن مجالهم، وفي هذا الصدد فقد انفردت المدرسة الرافدية بالتميز من حيث المناهج التربوية، الوسائل المسخرة، الهياكل المتوفرة والتقسيم النوعي لأركانها الداخلية، وقد قدمت لنا الحواضر الرافدية أغنى نماذج المدارس التي تكفلت بتلقين العلوم الأساسية وتشكيل أكبر المعاجم، كما يرجع لها الفضل في ظهور التركيب اللغوي في أساليب التعليم، ناهيك عن توفر مؤسسات حفظ وصيانة الوثائق والمكتبات الخاصة بها والتي تعتبر من أفضل الطرق المستخدمة للحفاظ على الموروث الثقافي للمنطقة.
4. بناء على مجموع العلوم المتنوعة التي نظمها الرافديون بطريقة جد فعالة نستخلص أن نوعية التعليم المطروح ضمن المؤسسات التربوية يواكب معايير الجودة المعروفة اليوم ضمن الأنظمة التعليمية الدولية الرائدة وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الاهتمام الكبير الذي خصصه المفكر الرافدي للجانب التعليمي سواء من ناحية التنظيم والوسائل المسخرة.

5. المصادر والمراجع:

1.5. المراجع العربية

1. أندريه أymar وجانين أبوايه. (1976). تاريخ الحضارات العام (الإصدار أول، المجلد 2). (فريد. م. داغر، المترجمون) بيروت: منشورات عويدات.
2. جان كلود مارغون. (1999). السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية (المجلد 1). (سالم سليمان العيسى، المترجمون) دمشق: دار علاء الدين.
3. جورج سارتون. (1963). تاريخ العلم (الإصدار 1). مصر: دار المعارف.
4. حسن ظاظا. (1990). الساميون ولغاتهم (تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب) (المجلد 2). دمشق: دار القلم.
5. حلمي محروس إسماعيل. الشرق العربي القديم وحضاراته (بلاد ما بين النهرين والشام و الجزيرة العربية القديمة). المجلد 01. مؤسسة شباب الجامعة. مصر. 1997
6. خزعل الماجدي. (1998). بحور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين (المجلد 1). الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.
7. ديلا بورت. (1997). بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية (المجلد 2). (محرم كمال، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب.
8. رياض رمضان علي. (1988). الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم. الكويت: عالم المعرفة.
9. سامي سعيد الأحمد. (1974). الطب العراقي القديم. مجلة سومر. (1+2)

10. سعيد إسماعيل علي. (1999). التربية في حضارات الشرق القديم. القاهرة: عالم الكتب.
11. سليم مطر. (2009). موسوعة اللغات العراقية (المجلد 1). بغداد: مركز دراسات الأمة العراقية.
12. صمويل كريم. (1956). من ألواح سومر. (طه باقر، أحمد فخري، المترجمون) بغداد، القاهرة: مكتبة المثنى، مؤسسة خانجي.
13. عامر عبد الله الجميلي. (2012). الكاتب والكتبة في بلاد الرافدين القديمة، رسالة ماجستير. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
14. عبد الحميد زايد. (1966). الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، القاهرة: دار النهضة العربية.
15. كوركيس عواد. (1986). خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى 1000 للهجرة (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الرائد العربي.
16. محمد أبو المحاسن عصفور. (1981). معالم حضارات الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر (المجلد 2). بيروت: دار النهضة العربية.
17. مفيد عرنوق. (1999). صرح ومهد الحضارة السورية (المجلد 1). دمشق: دار علاء الدين.
18. ملكة أبيض. (2012). التربية في الوطن العربي (منظور قومي، تاريخي). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
19. نبيلة محمد عبد الحليم. (1973). معالم العصر التاريخي في العراق القديم، مصر: دار المعارف.
20. نخبة من الباحثين العراقيين. (1985). حضارة العراق (الإصدار 2). بغداد: دار الحرية للطباعة.
21. نعيم فوح. (1972). موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. دمشق: دار الفكر.
1. André aymārījānabwāy. (1976). Tārīkh al-ḥadārāt al-‘āmm (al-īshdārawwal, al-mujallad 2). (Farīd. M. Dāghir, al-Mutarjimūn) Bayrūt : Manshūrāt ‘Uwaydāt.
2. Jān Klūd mārghwn. (1999). al-Sukkān al-qudamā’ li-bilādmābayna al-nahraynwa-Sūrīyah al-Shamālīyah (al-mujallad 1). (Sālim Sulaymān al-‘Isā, al-Mutarjimūn) Dimashq : Dār ‘Alā’ al-Dīn.
3. Jūrj Sartōn. (1963). Tārīkh al-‘Ilm (al-īshdār 1). Miṣr : Dār al-Ma‘ārif.
4. Ḥasan Zāzā. (1990). al-sāmīyūn w lghāthm (ta’rīf bālqrābāt al-lughawīyah wa-al-ḥadārīyah ‘inda al-‘Arab) (al-mujallad 2). Dimashq : Dār al-Qalam.
5. Ḥilmī Maḥrūs Ismā’īl. (bi-lā Tārīkh).
6. Khaz’al al-Mājidī. (1998). Bakhūr al-ālihaḥdirāsahfī al-ṭibbwa-al-siḥrwa-al-uṣṭūrahwa-al-dīn (al-mujallad 1). al-Urdun : al-Ahlīyah lil-Nashrwa-al-Tawzī’.
7. dylābwrt. (1997). bilādmābayna al-nahrayn alḥdārtān al-Bābīlyahwāl’āshwryh (al-mujallad 2). (Muḥarram Kamāl, al-Mutarjimūn) al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
8. Riyāḍ Ramaḍān ‘Alī. (dt). al-dawā’ min Fajr al-tārīkhilā al-yawm. al-Kuwayt : ‘Ālam al-Ma‘rīfah.
9. Sāmī Sa’īd al-Aḥmad. (1974). al-ṭibb al-‘Irāqī al-qadīm. Majallat Sūmar (1+2).
10. Sa’īd Ismā’īl ‘Alī. (1999). al-Tarbiyah fī ḥadārāt al-Sharq al-qadīm. al-Qāhirah : ‘Ālam al-Kutub.
11. Sālīm Maṭar. (2009). Mawsū‘at al-lughāt al-‘Irāqīyah (al-mujallad 1). Baghdād : Markaz Dirāsāt al-ummah al-‘Irāqīyah.
12. Šāmū’īl Krīmīr. (1956). min Alwāḥ Sūmar. (Ṭāhā Bāqir, Aḥmad Fakhrī, al-Mutarjimūn) Baghdād, al-Qāhirah : Maktabat al-Muthannā, Mu’assasat Khānjī.
13. ‘Āmir ‘Abd Allāh al-Jumaylī. (2012). al-Kātibwa-al-katabahfī bilād al-Rāfidayn al-qadīmah, Risālat mājistūr. Dimashq : Manshūrāt Ittīḥād al-Kitāb al-‘Arab.
14. ‘Abd al-Ḥamīd Zāyid. (dt). al-Sharq al-khālīd muqaddimahfī Tārīkhwa-ḥadārah al-Sharq al-Adnām undhwa qdam al-‘uṣūr ḥattā ‘ām 323 Q. M, al-Qāhirah : Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah.
15. Kūrīs ‘Awwād. (1986). Khazā’in al-Kutub al-qadīmahfī al-‘Irāq mundhwa qdam al-‘uṣūr ḥattā 1000 lil-Hijrah (al-mujallad 2). Bayrūt, Lubnān : Dār al-Rā’id al-‘Arabī.



16. Muḥammad Abū al-Maḥāsīn ‘Uṣṣūr. (1981). Ma‘ālim ḥaḍārāt al-Sharq al-Adnā al-qadīmmundhwaqdam al-‘uṣūrilámajī’ al-Iskandar (al-mujallad 2). Bayrūt : Dār al-Nahḍah al-‘Arabī.
17. Mufīd ‘Arnūq. (1999). Ṣarḥwa-mahd al-Ḥaḍārah al-Sūrīyah (al-mujallad 1). Dimashq : Dār ‘Alā’ al-Dīn.
18. MalakahAbyaḍ. (2012). al-Tarbiyahfī al-waṭan al-‘Arabī (manzūrqaḥmī, tārkīhī). Dimashq : al-Hay’ah al-‘Āmmah al-Sūrīyahliil-Kitāb.
19. NabīlahMuḥammad ‘Abd al-Ḥalīm. (1973). Ma‘ālim al-‘aṣr al-tārkīhīfī al-‘Irāq al-qadīm, Miṣr : Dār al-Ma‘ārif.
20. nukhbah min al-bāḥithīn al-‘Irāqīyīn. (1985). Ḥaḍārah al-‘Irāq (al-iṣḍār 2). Baghdād : Dār al-ḥurrīyahliil-Ṭibā‘ah.
21. Na‘īmFarah. (1972). MūjazTārkīh al-Sharq al-Adnā al-qadīm al-siyāsīwa-al-ijtimā‘īwa-al-iqtisādīwa-al-thaqāfī. Dimashq : Dār al-Fikr.

2.5 المراجع الأجنبية

1. Mazars, G. (n d). *Pharmacopée de Proche-Orient Antique*. 2002. France: institut d’histoire des sciences, université louis pasteur.